لبنان او الاردن هو كيان اصطناعي مبتور عاجز عن تحقيق الحد الادنى من الاستقلال الاقتصادي السياسي الفعلي . اذ ظل لبنان يلعب دور الوسيط بين الغرب الامبريالي والداخل العربي بحيث يشكل قطاع الخدمات العمود الفقري لاقتصاده ، بينما استمر الاردن يؤمن استمرارية وجود طبقته الحاكمة عبر المساعدات الخارجية الاجنبية طالما يؤدي الدور القمعي الموكل اليه بضرب الحركة الوطنية الفلسطينية خاصة ، والعربية عامة (سلطنة عمان) .

وكانت فلسطين تشكل سورية الجنوبية . فاتى التقسيم الاصطناعي كضربة للقطر الام في امكاناته البشرية والاقتصادية والعسكرية . « والعائلات البرجوازية ذاتها كانت موزعة بين القدس ودمشق وحيفا وبيروت . ولم يكن تقسيم البلاد في ١٩١٩ بين الفرنسيين والانكليز واعطاء جزئها الجنوبي فلسطين للصهيونية في ١٩١٧ على اثر وعد بلفور الا تقسيما اصطناعيا . وقد احس الشعب السوري بهذا الضياع بمرارة تعادل ما شعر به الشعب الفلسطيني »(٣).

وتؤكد الدراسة التي وضعتها لجنة كنغ ــ كرين عام ١٩١٩ هذا الارتباط بين فلسطين والدول العربية المجاورة . « الشعور ضد البرنامج الصهيوني ليس مقتصرا على فلسطين بل يشاركها فيه بصورة شاملة جدا مختلف سكان سوريا كما اظهرت اجتماعاتنا بجلاء » . كما اكد هذا الارتباط البند الثامن من بنود البيان الذي قدمه « المؤتمر السوري العام » في ٣ ــ ٧ ــ ١٩١٩ ، الى لجنة كنغ ــ كرين . « اننا نطلب عدم فصل القسم الجنوبي من سورية المعروف بفلسطين والمنطقة الساحلية التي من جملتها لبنان ، عن القطر السوري ونطلب ان تكون وحدة البلاد مضمونة لا تقبل التجزئة باي حال كان »(٤).

غير ان المؤامرة ، رغم الانتفاضات الشعبية المتلاحقة ، توصلت الى تحقيق اهدافها . وضمن هذه العملية استطاعت بريطانيا والصهيونية ان تعزلا الشعب الفلسطيني بشكل مباشر او غير مباشر عن اطاره الطبيعي وامتداده القومي الشعبي العربي وبالتالي حددتا منذ البداية امكانيات مواجهة هذا الشعب وقدرته على مواصلة النضال وحيدا ضد قوى امبريالية وصهيونية تتفوق عليه في شتى المجالات . وبذلك استطاعت بريطانيا ارساء الاسس الفعلية للدولة الصهيونية التي ستنتقل فيما بعد في اعقاب انهيار الامبراطورية البريطانية لتستظل الحماية الاميركية وتدخل في سياق مخططاتها الاستعمارية الجديدة .

من هنا يغدو التطرق الى هاتين النقطتين : ترابط تعاظم الدعم الغربي الامبريالي للصهيونية بالاندفاع وراء السيطرة على منابع البترول من جهة ، ومعاهدة سايكس ــ بيكو وما ولدته من تجزئة وتفتيت للقوى العربية من جهة اخرى، مسألة ذات اهمية قصوى تمكن القوى العربية الوطنية والثورية من رسم خطة عمل متكاملة تنظر الى الوضع العربي بجمله من حيث تعرضه للخطر الصهيوني الامبريالي ، وضرورة الرد على هذا الخطر بادراك ترابط اجزاء الوطن العربي ببعضها البعض . خاصة بعد امتداد الصراع ليشمل كافة الدول العربية ، خاصة دول الطوق .

غير ان الثورة الفلسطينية استطاعت ان تفك القيود التي ارادتها الامبريالية للشعب الفلسطيني، وان تمثل النموذج الحي للمواجهة العربية لاعدائها الرئيسيين بحيث يؤدي تصاعد النضال ضد الصهيونية ، وتقود استمراريته ، الى مضاعفة الالتحام العربي ، وتشكل بالتالي المدخل الصحيح لوحدة عربية شعبية ديمقراطية بعد تحرير كامل فلسطين وبقية الاراضي العربية المحتلة وتصفية المصالح الامبريالية .

---

١ ــ انظر هرتسوغ، **مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط** ، دار الحقيقة ، ص ٦٦ ــ ٦٧ .

٢ ــ انظر لطفي الخولي ، « التفسير الفلسطيني لتاريخ البترول العربي ومستقبله » ، (جريدة **النهار** ١٩٧٤/١٢/٢٧) .

٣ ــ سمير امين ، التطور اللامتكافىء (دار **الطليعة** ، بيروت) ، ١٩٧٤ . ص ٢٤٠ .

٤ ــ عبد الوهاب الكيالي ، **تاريخ فلسطين الحديث** ، (بيروت ، المؤسسة العربية) ، ١٩٧٣ . ص ١٣٧ ــ ١٣٩ .

يوسف شويري